

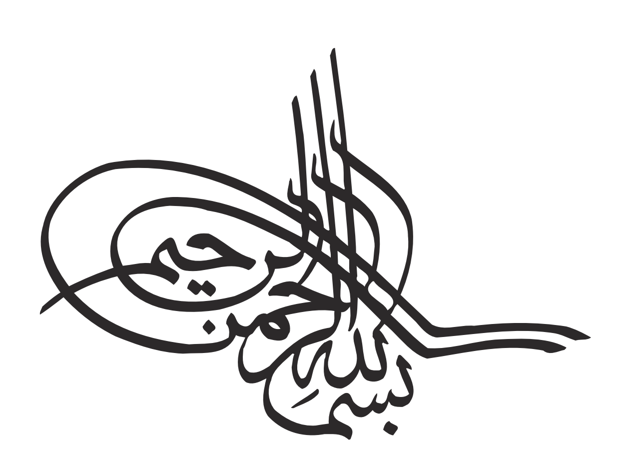
مركز الشيخ المفيد

لرعاية مشاريع التعليم

"٢"

العقائد

الفهرس


بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الأول:

جوهر الديـن

(١)

الدرس الأول : جوهر الدين

تعريف الدين: الدين هو مجموعة العقائد والتكاليف العملية والأخلاقية التي جاء بها الأنبياء من عند الله سبحانه؛ لإرشاد البشر وهدايتهم.

- والعلم بهذه العقائد وأداء هذه التكاليف هو سبب سعادة الإنسان في عالم الدنيا والآخرة.

- فإذا كنا من أهل الدين ونطيع أوامر الله ورسوله فسنكون سعداء في هذه الدنيا الفانية، و سعداء في الحياة الخالدة في عالم الآخرة.

مفهوم السعادة:

- **السعيد** هو من لم يقضِ حياته في الخطأ والضلال، وكان صاحب أخلاق فاضلة وأعمال صالحة.

- بخلاف من يقضي حياته في الخطأ والضلال، وفقدان الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة فيؤدي بنفسه إلى التعاسة والضياع وفقدان القيمة من هذه الحياة، وعدم الإحساس بالقيمة المعنوية للفضائل والسلوك القويم، فلا يصبح الإنسان ذا قيمة؛ وذلك لانحداره إلى الحضيض بدل رقيِّه إلى الأعلى، وتخبطه في الضلالات بدل التزامه بالهدى.

- **والنتيجة:** يعيش الضنك والتيه وفقدان الشعور بالسعادة؛ لابتعاده عن المسار الصحيح، ولذلك يقول الله في محكم كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[1].

طريق السعادة:

إن دين الله سبحانه يرشدنا إلى السعادة ويأمرنا:

أولاً: أن نحترم ونقدِّس العقائد الصحيحة التي أدركناها بالعقل والوجدان.

ثانياً: أن نكون من أصحاب الأخلاق الفاضلة؛ كي نستطيع القيام بالأعمال الصالحة.

أركان الدين:

بناءً على هذا يقسّم الدين إلى ثلاثة أقسام:

الأول: العقائد.الثاني: العمل. الثالث: الأخلاق

القسم الأول: العقائد:

---

(١)- ١٢٤/ طه.

إذا رجعنا إلى عقلنا ووجداننا ندرك:

أولاً: أن عالم الوجود الوسيع بنظامه المحير، لا يمكن أن يُوجِد نفسه بنفسه، ولا يمكن أن تحصل حركته المنتظمة والمرتبة بكافة أنحائها بدون منظم.

إذًا لابدّ من خالق لهذا الكون:

فمن المسلّم أنّ هناك خالقاً قد أوجد بقدرته وعلمه غير المتناهيين هذا العالم الواسع، وسير نظامه بمنتهى العدل وفقاً للقوانين الثابتة التي لا تقبل التغير والتي قد وضعها في جميع الأمور ولم يخلق شيئاً عبثاً وجزافاً.

ثانياً: المجتمع البشري لم يُترك فريسة الضلال:

ولا يمكن التصديق بأن الإله الرحيم، مع كل ما لديه من عناية ولطف بمخلوقاته، يوكل المجتمع البشري-الذي يكون غالباً أسيراً للهوى- إلى عقله، ليكون بالنتيجة فريسة للضلال والشقاء

لابدّ من أنبياء لهداية البشر:

وبناءً على هذا فيلزم أن يرسل إلى أفراد البشر قوانين بواسطة الأنبياء- الذين هم مصونون من الخطأ والاشتباه- حتى يصلوا إلى شاطئ السعادة بتطبيق هذه القوانين والالتزام بها.

تمام الجزاء في عالم الحساب:

وبما أنّ جزاء الالتزام بالقوانين الإلهية لا يحصل بشكل كامل في حياة هذا العالم، فلابد من وجود عالم آخر يحاسب الناس فيه على أعمالهم، فمن عمل خيراً يجازى بالحسنى، ومن عمل شراً ينال عقابه وجزاء عمله. والدينُ يحث الناس على هذه الاعتقادات وسائر العقائد الحقة الأخرى التي سنشرحها فيما بعد بشكل مفصّل، ويحذّرهم من الجهل وعدم العلم.



الدرس الثاني:

جوهر الدين (٢)

الدرس الثاني: جوهر الدين

تابع: أركان الدين

القسم الثاني: العمل

- يأمرنا الدين بإتيان أعمال بعنوان العبادة للباري سبحانه مثل الصلاة ونظائرها والتي هي علامة العبودية والطاعة.

- كما يأمرنا أيضاً بالمشاركة في الحياة في أعمال الخير والصلاح لأنفسنا ومجتمعنا، والابتعاد عن أعمال الفساد والشر.

القسم الثالث: الأخلاق

- يحثُّنا الدين على اختيار الصفات المحمودة في الحياة، والتحلي بالخصال الممدوحة والجميلة؛ كمعرفة التكليف وحب الخير وحب الناس والرحمة وطلاقة الوجه،

- وأن نتحلى بالعدالة وندافع عن الحق،

- وأن لا نتجاوز حدودنا وحقوقنا، وأن لا نعتدي على حياة الناس وأموالهم وأعراضهم،

- وأن لا نقصّر في البذل والتضحية من أجل العلم والبصيرة،

- وأخيراً أن نتعود العدل والاعتدال في جميع أمور الحياة.

والخلاصة:

- فهذه هي التعاليم والقوانين التي جاء بها الدين، ودعانا إليها.

- وهي كما اتضح بعضها عقائدي وبعضها أخلاقي وبعضها الآخر عملي.

- وكما بيّنا فإن قبولها والالتزام بها هو الطريق الوحيد لسعادة الإنسان،

- لأننا نعلم أن لا سعادة للإنسان إلاّ بأن يكون واقعياً وأن يعيش بالأخلاق والأعمال الحميدة.

فوائد الدين:

- إن للدين تأثيراً عميقاً في إصلاح الفرد والمجتمع.

- بل هو الطريق الوحيد للسعادة والنجاة. لأن واضع الدين هو الخالق لهذا الكون والعالم بصلاحه، وسعادته ونجاته، ولا يمكن لغيره أن يضع قانوناً يصب في صالح البشريّة جمعاء. لأن غير الله ناقص

وغير محيط بالأشياء.

نتيجة المجتمع بلا دين:

• والمجتمع الذي لا يقوم على أساس الدين يفقد الوعي والواقعية ويقضي عمره الغالي في الضلال والسطحية، ويكون قد سحق العقل تحت قدميه وعاش كالحيوانات قصير النظر وفاقد العقل، ويُبتلى بالنتيجة بسوء الأخلاق وانحطاط السلوك، ويحرم من الامتيازات الإنسانية.

• مثل هذا المجتمع بالإضافة إلى عدم وصوله إلى السعادة الأبدية والكمال النهائي فإنّه سيرى في هذه الحياة القصيرة والسريعة النتائج المشؤومة والسيئة لانحرافاته واعوجاجه وسينال عاجلاً أم آجلاً عقاب غفلته، وسيفهم بشكل واضح بأن الطريق الوحيد للسعادة هو هذا الدين، وسيندم في الختام على مسلكيته.

يقول اللّه تعالى في محكم كتابه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[1].

(١)- ٩، ١٠/ الشمس.



الدرس الثالث:

جوهر الدين (٣)

الدرس الثالث: جوهر الدين

سعادة الإنسان في الدين:

• وينبغي العلم بشكل قاطع بأن سعادة الإنسان الفرد والمجتمع إنما ترتبط بتطبيق التعاليم الدينية، ومجرد الاسم والعنوان لا فائدة فيه، وذلك لأنّ القيمة هي لنفس الحقيقة لا لادعاء الحقيقة.

لابدّ من التطبيق العملي:

• ومن يدعو نفسه مسلماً وينتظر ملاك السعادة بباطن مظلم وأخلاق دنيئة ومسلك قبيح إنما مثله كمثل المريض الذي يضع وصفة الطبيب بقربه متوقعاً تحسن حالته الصحية، ومن المؤكد أنه لن يصل إلى مقصوده بمثل هذا التفكير.

دفع إشكال عن الآية الشريفة:

• يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

• ويمكن أن يتصور بناءً على هذه الآية بأن كل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً حتى إذا لم يؤمن بجميع الأنبياء سيكون ناجياً، ولكن ينبغي أن يعلم بأن الله تبارك وتعالى في سورة النساء قد سمّى كلّ من لم يؤمن بالأنبياء كافراً. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً × أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[2].

• وبناءً على هذا فإن الذي ينتفع بإيمانه هو من آمن بجميع الأنبياء وكان عمله صالحاً.

الدين الإسلامي أكمل الأديان:

• الدين الإسلامي المقدس آخر الأديان السماوية، ولذا كان أكمل الأديان.

• وبمجيء هذا الدين نُسخت بعض الأحكام في الأديان السابقة وجاءت أحكام جديدة من الله تعالى، وتم إكمال الدين بخاتم الأنبياء وآخر الرسالات الإلهية.

• وقد أرسل الدين الإسلامي المقدس إلى البشرية بواسطة نبينا الأعظم محمد بن عبد الله (ص)

• وقد فُتح باب الفلاح والسعادة هذا بوجه البشر في وقت اجتازت فيه المجتمعات الإنسانية أدوار

(١)- ٦٢/ البقرة.

(٢)- ١٥٠، ١٥١/ النساء.

السذاجة والتخلف الفكري وتهيأت لنيل الكمال الإنساني واستعدت لتلقي المعارف الإلهية العالية وتطبيقها.

• ولذا فقد أتى الإسلام بالحقائق والمعارف المناسبة لفهم الإنسان الواقعي والأخلاق الحميدة التي بها يمتاز الإنسان، والتعاليم التي تمنح الرقي لجميع نواحي الحياة الفردية والاجتماعية وأوصاه بتطبيقها عملياً.

خلاصة الدرس:

- الدين هو مجموعة العقائد والتكاليف التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام.
- السعادة الحقيقية تكون بالإيمان بالعقائد والعمل بموجب التكاليف.
- أركان الدين ثلاثة: العقيدة، الأخلاق، العمل.
- بالعقل والوجدان ندرك أن عالم الوجود المحير بنظامه لابدّ له من صانع.
- أساس الأخلاق في أن نتعود العدل والاعتدال في جميع أمور حياتنا.
- لا سعادة للإنسان إلا بالحياة الواقعية والقيام بالأعمال الحميدة.
- الدين هو الطريق الوحيد للسعادة والنجاة.
- الدين الإسلامي المقدس آخر الأديان السماوية، ولذا كان أكمل الأديان.

إضاءة نورانية:

القرآن الكريم: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

نهج البلاغة: (أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الإخلاص له....)[2].

حديث المعصوم: (الناس عبيد الدنيا والدين لَعق على السنتهم يحوطونه ما درت معايشهم فإذا محصوا بالبلاء قلَّ الديانون...)[3].

(١) - ٨٥/ آل عمران.

(٢) - نهج البلاغة ج١ ص١٤.

(٣) - تحف العقول ص٢٤٥.

أسئلة حول الدرس

س١ : ما هو تعريف الدين؟

س٢ : كيف تكون السعادة؟

س٣ : ما هي أركان الدين الأساسية؟

س٤ : أوضح الهدف من إرسال الأنبياء من قبل الله تعالى؟

س٥ : ما هي الأمور التي تشملها التوجيهات الأخلاقية للدين؟

الدرس الرابع:

القرآن الكريم
والتوحيد الفطري (١)

الدرس الرابع: القرآن الكريم والتوحيد الفطري

القرآن منبع الحقائق والمعارف الإسلامية:

• إنّ منبع الحقائق والمعارف الإسلامية هو القرآن الكريم الذي هو الكتاب السماوي ومعجزة نبوة النبي الأكرم (ص)، وهو كلام الله تبارك وتعالى.

• ومن هنا يمكن أدراك أهمية وعظمة هذا الكتاب المقدس بالنسبة للإسلام و المسلمين، إضافة إلى أن القرآن المجيد ومنذ زمن نزوله حتى الآن طيلة أربعة عشر قرناً احتلّ ومن جهات مختلفة مكاناً مرموقاً في المجتمعات البشرية المتنوعة، وكان باستمرار محلاً لجلب انتباه العالم إليه.

تنزّل القرآن:

يذكر العلماء أن القرآن له تنزّلان:

• تنزل القران الكريم بشكل تدريجيّ خلال ثلاث وعشرين سنة من زمان دعوة النبي الأكرم (ص) لتلبية حاجات المجتمع البشري.

• وتنزّل للقرآن بشكل دفعي كاملاً ليلة القدر

هدف القرآن هداية الناس:

• القرآن كتاب لم يهدف في بياناته إلاّ إلى هداية الناس نحو السعادة، فهو يعلِّم الاعتقاد الصحيح والخلق المحمود والعمل الصالح ـ التي هي أسس سعادة الفرد والمجتمع الإنساني ـ بكلام بليغ.

يقول تعالى: ﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ...﴾[١].

• والقرآن الذي بيّن المعارف الإسلامية باختصار يهدي الناس إلى باب النبوة لمعرفة تفاصيل تلك المعارف، من أجل توضيح المسائل والأحكام الفقهية خصوصا، فيقول: ﴿... وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ... ﴾[٢]. ويقول: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ..﴾[٣]

أهل البيت قرناء القرآن:

---

(١)- ٨٩/ النحل.

(٢)- ٤٤/ النحل.

(٣)- ٦٤/ النحل.

• ويجب أن يُعلم بأن النبي الأكرم(ص) قد جعل عترته وأهل بيته قرينًا لا ينفصل عن القرآن أبداً، وجعلهما معًا ضمانًا من الضلال بعد، وأوصى في قوله (ص): (إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وهما الخليفتان من بعدي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة...)([1]). وأن من أراد أن يهتدي من الضلال ويستضيء بنور القرآن فإنه لن ينال ذلك إلاّ بالرجوع إلى عترة رسول الله(ص) الذين هم أعلم الناس بالقرآن الكريم، وهم الذين لا يخالفون القرآن ولا يفارقونه بشهادة الرسول الكريم.

نظرة القرآن للعلم والجهل:

• إنّ مدح القرآن الكريم للعلم والمعرفة وما جاء فيه من الترغيب بالتفكير والتعقل لم يوجد له نظير في أي من الكتب السماوية الأخرى.

• وقد صار ذم الجهل وعدم العلم من خصائصه فسمى العلم والمعرفة حياةً، والجهل موتاً.

• ومن أجل تعريف العصر الذي كان سائداً قبل الإسلام والذي كان مملوءاً فساداً بشكل كامل، أطلق عليه أسم العصر الجاهلي.

الآيات القرآنية في الحث على العلم:

• **يقول الله سبحانه وتعالى:** ﴿.. هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...﴾[2].

• **ويقول عزّ اسمه** ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ....﴾[3].

• هل من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورًا من العلم والمعرفة ويحيا بين الناس بواسطة شعاع هذا النور كذلك الميت الغارق دائماً في ظلمات الجهل وعدم العلم؟!

• ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[4].

• ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا .....﴾[5].

• فهؤلاء كالأنعام، بل هم أضل، لأن الأنعام تستفيد من وسائل الإدراك الضئيلة التي تملكها بغريزتها وما أودعه الله سبحانه فيها مما يحفظ وجودها ويرشدها إلى رزقها، بينما هؤلاء لا ينتفعون من وسائل الإدراك والفهم العالية (العقل) التي يتمتعون بها. فهؤلاء أناس يقضون حياتهم

(١) - كمال الدين وتمام النعمة ص٦٤

(٢)- ٩/ الزمر.

(٣)- ١٢٢/ الأنعام.

(٤)- ٤٦/ الحج.

(٥)- ١٧٩/ الأعراف.

في الغفلة والجهل.

• ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ، وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ، وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ، وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ .... ﴾ [(١)].

خلاصة الدرس

• أن القرآن الكريم الذي هو منبع المعارف الإسلامية كلام الله تعالى ومعجزة النبي محمد (ص).

• تنزّل القرآن الكريم على مدى ثلاث وعشرين سنة تلبية لحاجات المجتمع البشري.

أسئلة حول الدرس

س١ : كم هي المدة التي استغرقها نزول القرآن على النبي الأكرم (ص) ؟

س٢ : ما هو هدف القرآن ؟

س٣ : كيف نظر القرآن الكريم للعلم و الجهل ؟

---

(١)- ١٩-٢٢/ فاطر.

الدرس الخامس:

القرآن الكريم
والتوحيد الفطري (٢)

الدرس الخامس: القرآن الكريم والتوحيد الفطري

الحث على التفكر:

• لقد حثّ الله سبحانه وتعالى البشر في كثير من الآيات على التفكر والتدبر، وأمر عباده بالتفكر في خلق السماوات و الأرض والظواهر المختلفة الموجودة فيهما، والتفكر بشكل خاص في خلق الإنسان.

• وأوصاهم أيضًا بدراسة آثار الأمم والشعوب السالفة وعاداتهم وتقاليدهم وأطوارهم المختلفة، التي هي في الواقع العلوم والفنون الإنسانية المتفرقة، والاستفادة من نتائج هذه الدراسات من أجل سعادتهم الحقيقية.

الهدف الحقيقي للتأمل والتفكر هو تأمين سعادة الآخرة:

• وينبغي أن يعلم أن التأمل في المسائل العلمية والفنية ليس من اجل التقدم المعيشي في هذه الأيام المعدودة والمحدودة لهذا العالم، بل يجب انطلاقاً من هذه الدراسات تأمين السعادة والراحة في الحياة الخالدة في عالم الآخرة.

معرفة الخالق في القران: "إثبات الصانع":

﴿ ...أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ .... ﴾ [1].

• في ضوء النهار تبدو وتتجلى جميع الأشياء أمام العين، فنرى أنفسنا، والآخرين، والبيت، والمدينة، والصحراء، والجبل والغابة والبحر. ولكن عندما ينتشر الظلام وتفقد جميع الأشياء المضيئة والظاهرة ضوءها نفهم حينئذ أن ضوءها ونورها لم يكن من نفسها، بل كان مرتبطًا بالشمس، أن تلك الأشياء كانت تضيء بواسطة نوع من الارتباط بينهما.

• يدرك الإنسان وسائر الكائنات الحية الأشياء بواسطة العين والأذن والحواس الأخرى، كما أنهم يمارسون أفعالهم وأنشطتهم بواسطة اليد والرجل وسائر الأعضاء الداخلية والخارجية، ولكن بعد مدة من الزمن يتعطل الحس والحركة، ولا يعود يصدر منها أي حركة أو نشاط، وبعبارة أخرى تموت.

• ونحن بملاحظة هذه الظاهرة نستطيع الحكم بأن الشعور والإرادة و الحركة التي تظهر من ذوات الأرواح ليست من هياكلها وأبدانها، بل هي من أرواحها، وبذهاب تلك الأرواح تفقد حياتها وحركتها.

• فلو كان البصر والسمع مثلاً من العين والأذن فقط، فلا بد من استمرارهما مادام هذين العضوين موجودين و لكن الأمر ليس كذلك.

---

(١)- ١٠/ إبراهيم.

الكون الذي نراه ليس من نفسه بل من موجدٍ له:

- و كذلك الكون الوسيع، الذي نحن جزء منه، ولا يمكننا التشكيك أبداً في وجوده.
- فهذا الوجود غير القابل للتشكيك نلاحظ أنه في تبدّل مستمر وتحوّلٍ وتقلّبٍ وتغيير.
- فتوجد أجزاء وأحوال جديدة فيه، وتنعدم تارة أخرى، فكل هذه الأشياء لا تملك وجودها، كما نرى بأعيننا، ولو كانت تملكه لما فقدته.

الخالق هو الموجد للأشياء:

- إذاً يجب الحكم بشكل قطعي بأن وجود جميع الموجودات ينبع من شئ آخر، هو خالقها وموجدها، و بمجرد أن يقطع علاقة الخلق مع شئ فإنه يختفي في عالم العدم ويتبدد في عالم الفناء.
- وذلك الوجود اللامتناهي هو عماد عالم الوجود، وحافظ العوالم، يسمى الله.
- فهو وجود لا يتطرق إليه الفناء والعدم، وإلاّ لكان مثل سائر الموجودات التي لا يكون وجودها من نفسها ولكان محتاجاً لوجود آخر.

خلاصة الدرس

- أمر الله تعالى عباده بالتدبر والتفكر في خلقه وأوصاهم بدراسة آثار الأمم والشعوب
- الله تعالى هو الوجود اللامتناهي وهو عماد عالم الوجود وحافظ جميع العوالم.
- الله تعالى هو وجود لا يتطرق إليه الفناء والعدم.

إضاءة نورانية

- القرآن الكريم: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ .... ﴾[1].
- نهج البلاغة: (فما دلك القرآن عليه من صفته فائتم به واستضئ بنور هدايته)[2].

---

(١)- ٥٣/ فصلت.

(٢)- نهج البلاغة ج١ ص١٦١، ١٦٢.

أسئلة حول الدرس

س١ : أشرح دليل القرآن في إثبات الصانع ؟

س٢ : لم لا يكون ظهور الموجودات من نفسها ؟

الدرس السادس:

الدرس السادس: خالق الوجود

حالة الناس عند مجئ الإسلام:

• لم يكن الناس على عقيدة واحدة عند مجيء الإسلام فكان قليل منهم من بقي على شريعة الأنبياء والدين الحنيف، وأكثر الناس حرفوا دينهم، أو كانوا بلادين، فكان النصراني واليهودي والمجوسي والمشرك والملحد، ولا زالت هذه العقائد وغيرها متبناة لدى قسم من الناس، ولكثير من هذه العقائد المتفرقة نظريات وآراء مختلفة حول نشأة الكون والخالق.

• وجاء الإسلام وأخذ يناقش هذه النظريات والآراء بمنطق العقل والبرهان، ويقدم المنهج السليم الذي يحسم الخلاف، و يهدي إلى الحق والإيمان.

المنهج السليم للوصول إلى الله:

• والمنهج العلمي القرآني هو أن نعود إلى الحواس التي نملكها، فننظر، ونسمع، ونلمس، ونشم، ونتذوق كل ما يحيط بنا، لنعرض كل ما نتوصل إليه على عقولنا التي تفسر لنا عظمة الخلق، التي تدل على عظمة الخالق،

• قال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1].

المجموعة الشمسيّة والكواكب والنجوم (دقة في النظام):

• فحين نتأمل في جزء من هذا العالم: " المجموعة الشمسية"، نراها تحتوي على مائة بليون نجمة تقريباً، مترابطة مع بعضها البعض، وكل واحدة لها مدار خاص تسير عليه بسرعة محددة لا تتجاوزها،

• فالأرض تدور حول نفسها وتدور حول الشمس في مدار معين وبسرعة معينة،

• و كذلك القمر يدور حول الأرض والشمس،

• و الأمر ذاته يرد بالنسبة للكواكب السَيّارة والنجوم الأخرى.

• هذه النجوم التي يعج بها الفلك الواسع البعيد، لم يحدث أن اختل نظامها، بل كلها تتبع نظاماً يحكم حركتها.

• ويقرر العلم أنّ كل النجوم ترسل بضوئها إلى الأرض، فمنها ما يصلنا بسرعة، ومنها ما يصلنا

(١)- ١٩١/ آل عمران.

بشهور، وسنين، ومنها ما لم يصل إلينا نورها حتى الآن، مع العلم أن سرعة الضوء في الثانية الواحدة حوالي ثلاثمائة ألف كلم، فكم يبلغ حجم هذا العالم العجيب؟!

كيف حدث هذا النظام؟:

هذا النظام بهذه الدقة والإتقان عند النظر إليه

فهل كله حدث صدفة، وبلا قصد أو تدبير؟!

و هل هو مستغنٍ عن الخالق القدير الحكيم ؟!

الرد على ذلك:

قال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2]. فالإنسان العاقل المتفكّر يصل بلا إشكال إلى وجود قوة خلقت هذا الكون وهي تديره بكامل الحكمة والعلم.

---

(١)- ١١/ لقمان.

(٢)- ١٦٤/ البقرة.





الدرس السابع:

نظريات خالق الوجود

النظريات الأخرى في خالق هذا الكون وبطلانها:

النظرية الأولى: أن الصدفة هي خالقة الكون:

تقول هذه النظرية بأن الكون كان في البداية خليطاً من المواد الأولية: الأوكسجين، الهيدروجين، الآزوت، الكاربون، الحديد...، وبنتيجة المزج والتجاذب والتنافر تكوّن الماء، ثم النار، ثم التراب...، ثم الكون بنظامه الحالي.

والجواب على هذه النظرية:

- أي عاقل يقبل أن (الصدفة) أوجدت إنساناً له عينان تبصران، وأذنان تسمعان، وعقل يفكر... إلخ؟!
- إن هذا الكلام هو السذاجة بعينها، لأن الصدفة لا تعبر عن العمل المنظّم الدقيق، والتنظيم الكامل المحكم لا يدل إلاّ على العلم والحكمة والقدرة، التي تتمثل بالخالق العليم الحكيم القدير.

النظرية الثانية: إنّ الطبيعة هي خالقة الكون.

والسؤال الموجه إلى أصحاب هذه النظرية، ما هو المقصود من الطبيعة؟

فإن قلتم: أن الطبيعة عاقلة حكيمة، عاملة، قادرة، واعية.. تفكر، وتخطط، وتنفذ.

قلنا: إذاً هي الله، لا فرق بيننا وبينكم سوى الاسم.

وإن قلتم: الطبيعة ليست عاقلة أو حكيمة.. إلخ.

قلنا: إن فاقد الشيء لا يعطيه، فالطبيعة التي لا تمتلك العقل، لا يمكن أن تخلق الإنسان العاقل، أو توجد النظام الذي هو ثمرة من ثمار العقل، إذاً النتيجة التي نفهمها أن الطبيعة مخلوقة، والله هو الخالق.

النظرية الثالثة: النافية لوجود الخالق:

ويقول أصحابها بأننا لا نؤمن بشيء لا نراه، ولم نسمعه، أو نلمسه، وبما أننا لم نرَ الله ولم نسمعه أونلمسه، فنحن غير مستعدين للإيمان بوجوده.

والجواب: أن هؤلاء ذاتهم يؤمنون بوجود أشياء لا يرونها، بل يحسّون بآثارها، فهم يؤمنون بوجود الطاقة، والعقل والألم. فلماذا يؤمنون بأشياء وينكرون أشياء؟!

أسئلة حول الدرس

س١: كيف نرد على شبهة الصدفة؟

س٢: لماذا نعتبر أن الطبيعة مخلوقة؟

س٣: كيف نؤمن بوجود الله دون أن نراه؟



الدرس الثامن:

لماذا خُلقنا؟ (١)

الدرس الثامن: لماذا خُلقنا؟

ما الهدف من خلقنا؟:

لماذا خلقنا الله ؟ سؤال يتبادر إلى ذهن الكثير من الناس. لكن ما هو الجواب عنه؟

وقبل الجواب عنه ينبغي أن نعرف فائدة علمنا بسبب وجودنا، لكي نبذل جهدنا في اكتشاف إجابة وافيه.

فائدة معرفة سبب وجودنا:

إذا علمنا الغاية من خلقنا عملنا وفق تلك الغاية، ونلنا السعادة، لأن السعادة إنما تتجلى وفق الهدف المقصود والغاية المنشودة.

إجابات ناقصة في سبب وجودنا:

الجواب عن ذلك مختلف بين بعض الناس، فكلٌ يجيب عنه بشكل يتناسب مع شعوره، وما وصلت إليه نفسه من الكمال، وحسب شهواته ومشتهياته.

(الجواب الأول):

من الناس يجيب قائلاً: وُجدنا لكي نأكل ونشرب ونتلذذ بهذه الحياة ونفنى، ولذلك يحاول أن يزداد تلذذاً وسروراً. فيسعى ليأكل لذيذاً، ويشرب مريئاً، وينام هنيئاً. وليست له غاية سوى الأكل والشرب والنوم.

(الجواب الثاني):

ومن الناس من يقول: وجدنا لنخدم غيرنا، فهو يعمل في خدمة الآخرين دون أن يخدم نفسه، وقد يكون هو أحوج الناس إلى الإصلاح لما في نفسه من الدنس والرجس.

(الجواب الثالث):

ومن الناس من يقول: وجدنا للشقاء، فالحياة كلها في نظره شقاء، لأنه متشائم معذب.

تمهيد للجواب الشافي عن سبب وجودنا:

إن الله سبحانه وتعالى خلق ما في الكون لأجلنا، إذ هو القائل في محكم كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ، يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ

وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ، وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2]

فإذا كانت الموجودات مسخرة لنا، والحيوانات تنام وتأكل وتشرب وقد خلقت لأجلنا، فلماذا خلقنا نحن مع علمنا أننا غير مسخرين لموجودات أخرى؟ ما الغاية من وجودنا؟

هذا ما سوف نتعرف عليه ـ بشيء من التفصيل ـ في الدرس المقبل إن شاء الله..

(١)- ١٠-١٤/ النحل.

(٢)- ٥-٧/ النحل.





الدرس التاسع:

لماذا خُلقنا؟ (٢)

الدرس التاسع: لماذا خُلقنا؟

التكامل هو الغاية من وجودنا:

• إن المتأمل في كل مخلوق من مخلوقات الله يجد بأن كل شيء ينادي بكمال الله تبارك وتعالى، وينزهه عن كل نقص وعيب.

• فالكمال تهفو له كل النفوس وتسير في مساره كل المخلوقات.

• فكيف يجوز للإنسان أن ينحرف عن هذا المسار المهيمن على العالم كله؟! ويرضى لنفسه النقص في عالم الكمال؟!

• فالإنسان خُلق ليتكامل. والإنسان يتكون من جنبتين: جنبة مادية وهي البدن الذي أتقن الله صنعه، وجنبة روحية هي حقيقة الإنسانية، وهي أهم جانب في وجود الإنسان، ولذلك فإن تكامل الروح هو الأهم.

• ثم إن تكامل الإنسان وصعوده في درجات الكمال إلى مراتب الملائكة بل وأرقى من ذلك، وكذلك هبوطه وانحداره إلى درجة البهائم والأنعام بل أسفل من ذلك، كل ذلك قد جعله الله سبحانه بيد الإنسان وإرادته واختياره.

بم يتحصل الكمال:

• إن الوصول إلى الكمال المنشود، والتمكن من التصدي للنفس الأمارة وإقبالها على الشهوات، يتطلب اتباع أوامر أطباء روحيين عالمين بخصائص الروح، وهم النبي الأعظم (ص) والأئمة من ولده (عليهم السلام)، فهم العارفون بالله، المبيّنون حلاله وحرامه، هذه المدارج التي لو سلكها الإنسان لبلغ مرتبة الكمال المنشود، وَلَتقرّب شيئًا فشيئًا من معرفة رب العباد،

الهدف من خلق الإنسان

• جاء في الحديث القدسي عن الله تعالى: (كنت كنزًا مخفيا فأحببتُ أن أُعرف، فخلقتُ الخلق لكي أُعرف)[1]. فباتباع مناهج الأنبياء يكون الإنسان كاملاً، وتزداد معرفته لله تعالى بدرجة تطبيقه وإخلاصه، والوصفات الروحية تؤثر في كل نفس بحسب قابليتها. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

• لا يعقل أن يكون الإنسان الذي خُلِقَت لأجله جميع الأشياء في غاية الكمال، أن يقبل منه التسافل

(١)- جامع السعادات ج٩٩.

(٢)- ٥٦/ الذاريات.



نحو الانحدار والنقص ، فيظلم ويبغي، ويزني ويفسق. وينهب أموال الناس ويرابي. فإن الله الكامل المطلق لا يرضى إلاّ الكمال، ولذلك توعّد الإنسان الذي يظلم نفسه ويتسافل بها إلى دركات الانحطاط، ولا يسلك بها درجات الكمال.

ضرورة بعثة الأنبياء:

• إذاً بطريق عقلي بحت يصل المتتبع في أحوال الكون إلى وجوب بعث الرسل، وعدم خلو الأرض من حجة بالغة من قبل الله تعالى.

• على أن الله أودع في النفس الإنسانية بذور التكامل والهداية بصورة فطرية، وجعله مختارًا في نفس الوقت ولم يجبره سبحانه على سلوك طريق الكمال،(وهديناه النجدين) أي طريقي الخير والشر.

• ويتجلى الكمال النفسي في الدرجة الأولى في الشكر، فمن كان شكره أكثر كانت نفسه أسمى وأكمل. يقول زين العابدين(عليه السلام) مخاطبًا رب العباد: (فكيف لي بتحصيل الشكر، وشكري إيّاك يفتقر إلى شكر. فكلّما قلت: لك الحمد، وجب علي لذلك أن أقول: لك الحمد)[(١)]. . والصلاة المفروضة نوع شكر.

أسئلة حول الدرس

س١ : ما هي الفائدة التي نحصل عليها من معرفة الهدف من وجودنا؟

س٢ : هناك إجابات ناقصة جاءت جوابا عن الهدف من وجودنا ما هي؟

س٣ : هناك جوابٌ شافٍ جاء موضحاً للغاية من وجودنا. ماهو؟

س٤ : بما يتوصل الإنسان إلى الكمال الذي يريده الله له؟

---

(١) - بحار الأنوار ج٩١ ص١٤٦ ط٢ المصححة.



الدرس العاشر:

التوحيد والعدل

وحدانية الله:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ...﴾[1].

• إذا اشترك عدة آلهة في حكومة العالم و كان كلُّ إله يدير قسمًا منه بشكل مستقل كما يقول عبدة الأصنام، وكان لكلٍّ من الأرض والسماء والبحر والغابة إلهٌ خاصٌ لصار لكل قسم من العالم نظام مستقل بسبب اختلاف الآلهة، ولا مفر حينئذٍ من أن ينجر نظام العالم إلى الفساد والضياع، مع أننا نرى أن جميع أجزائه مرتبطة مع بعضها ومنسجمة بشكل كامل، تشكل جميعها آلة واحدة.

• وعليه يجب القول أن رب العالم وخالقه واحد لا أكثر.

• ولا ينبغي التوهم أن الآلهة المفترضين عقلاء وعالمين بأن اختلافهم يؤدي إلى فساد العالم فهم لا يختلفون فيما بينهم أبداً؛ لأنه حينئذٍ سيكون كل منهم مؤثراً في عمل الآخر، ولا يستطيع القيام بأي عمل بمفرده لأنه سيحتاج إلى إذن وموافقة الآخرين والتنسيق معهم، والذي يحتاج ويفتقر إلى غيره في أي شيء ليس بإله أصلا فالإله هو الغني عن كلِّ أحد، والقادر على كلِّ شيء، والمنزه عن كلِّ حاجة.

قدرة الله:

﴿...وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

• عندما نقول: أن الشخص الفلاني لديه قدرة شراء سيارة، فمقصودنا أن ما يحتاج إليه في شراء السيارة متوفرٌ لديه.

• وإذا قلنا: أن الشخص الفلاني لديه قدرة رفع حجر بوزن ستين كيلو غراماً فمرادنا أن قوة رفع حجر بوزن ستين كيلوغراماً موجودة فيه.

• وبالجملة فإن القدرة على شيء ما تعني امتلاك الوسيلة اللازمة لذلك الشيء.

• وبما أن كل موجود في عالم الوجود حاجته في الوجود وفي دوران عجلة حياته ترفع بواسطة الله تبارك وتعالى، فيجب القول بأن الله تبارك وتعالى قادر على كل شيء وإن ذاته المنزهة هي منبع الوجود.

علم الله:

---

(١)- ٢٢/ الأنبياء.

(٢)- ١٧/ المائدة.



﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ... ﴾[1].

بما أن كل موجود يستند في وجوده وظهوره إلى وجود الله اللامتناهي تبارك تعالى، فلا يمكن أبداً فرض وجود حائل وحاجب بين الله تبارك وتعالى وذلك الموجود، أو اعتبار ذلك الموجود مستوراً عن الله تبارك وتعالى.

بل أن كل شيء ظاهر بالنسبة له، وهو سبحانه مسلط على ظاهر وباطن كلِّ شيء، ومحيط به.

صفات الكمال:

﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ .... ﴾[2].

- كل حسن وجميل في العالم وكل صفة كمال نتصورها هي نعمة من الله تبارك وتعالى وهبها لخلقه ورفع بواسطتها إحدى حاجات الخلق.

- ولو لم يكن الله تعالى حاوياً لذلك الكمال لكان عاجزاً عن منحه للآخرين، وكما يقال: (فاقد الشيء لا يعطيه)، بل وكان هو أيضاً شريكاً لهم في الحاجة، ومفتقرًا لمن يعطيه، فيكون لا فرق بينه وبين أي مخلوق محتاج فقير، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

- فالله تبارك وتعالى إذن يمتلك صفات الكمال من عند نفسه، وهو متصف بجميع صفات الكمال من قبيل الحياة والعلم والقدرة وغيرها، من دون أن يأخذ أي كمال من الآخرين، أو يمد يد الحاجة نحو أحد.

- ولا يتطرق إلى سعة قدسه المنزهة أي من صفات النقص وموجبات الحاجة مثل العجز والجهل والموت والمصائب وغير ذلك.

خلاصة الدرس

- يجب الاعتقاد بأن صفات الله تعالى الكمالية ذاتية من عند نفسه وأنه متصف بها جميعاً.
- يجب الاعتقاد أن رب العالم وخالقه واحد لا أكثر، لأن الله يجب أن يكون منزهاً عن الحاجة.
- يجب الاعتقاد أن الله قادر على كل شيء وأن ذاته المنزهة هي منبع الوجود.
- يجب الاعتقاد أن كل شيء ظاهر بالنسبة لله حاضر عنده والله محيط به.

إضاءة نورانية:

(١)- ١٤/ الملك.

(٢)- ١٣٣/ الأنعام.



القرآن الكريم: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ... ﴾[1].

الحديث الشريف: (أما التوحيد فأن لا تجيز على خالقك ما جاز عليك وأما العدل فإن لا تنسب إلى ربك ما لامك عليه).

نهج البلاغة: (الإيمان على أربع دعائم. على الصبر واليقين والعدل والجهاد)[2].

أسئلة حول الدرس

س١ : أوضح استدلال القرآن وبيانه حول التوحيد ؟

س٢ : بين مفهوم القدرة الإلهية مع ذكر الآية المتعلقة بذلك ؟

س٣ : إذكر ثلاث آيات حول العدل الإلهي ؟

س٤ : كيف يكون علم الله تعالى بمخلوقاته ؟

---

(١)- ٢٢/ الأنبياء.

(٢) - نهج البلاغة ج٤ ص٧.

الدرس الحادي عشر:

صفات الكمال

الدرس الحادي عشر: صفات الكمال

العدل:

• إن الله تبارك وتعالى عادل، لأن العدل إحدى صفات الكمال. وإله الكون واجد لجميع صفات الكمال.

• كما أنه مدح في كتابه العدل وذم الظلم مراراً، وأمر الناس بالعدل ونهاهم عن الظلم.

• وكيف يمكن أن يعد شيئاً قبيحاً وهو يتصف به ؟! أو أن يعتبر شيئاً حسناً وجميلاً ولا يكون متصفاً به ؟!

آيات تدلّ على عدل الله:

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ .... ﴾[١].

﴿ ....وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[٢].

﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ..... ﴾[٣].

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ .... ﴾[٤].

تبارك الله أحسن الخالقين:

• كل موجود خلق من قبل الله هو في نفسه على أحسن وجه، والقبح والاعوجاج أو العيب والنقص الذي يلاحظ في بعض الموجودات إنما يظهر من مقايسة ونسبة بعضها للبعض الآخر،

• فوجود الحية والعقرب مثلاً يكون بالنسبة إلى الإنسان قبيحاً وسيئاً،

• والشوك حينما يقاس بالورد لا يكون جميلاً،

• ولكنها في مكانها الطبيعي مخلوقات عجيبة ومملوءة من أعلاها إلى أسفلها بآيات الكمال.

الرحمة:

---

(١)- ٤٠/ النساء.

(٢)- ٤٩/ الكهف.

(٣)- ٧٩/ النساء.

(٤)- ٧/ السجدة.

- إننا نرى حاجة العاجز ونرفع عجزه بمقدار قدرتنا، فنساعد المحتاج ونأخذ بيد الضرير ونعينه على الوصول إلى مقصده، ونعتبر مثل هذه الأعمال التي تعد عطفاً أو رحمة عملاً حسناً وممدوحاً.

- والأعمال التي يقوم بها الله القادر الغني غير المحتاج لا يمكن أن تكون إلاّ رحمة، لأن الجميع يستفيدون من نعمه التي لا تحصى.

- وهو يرفع بتفضله حاجات الموجودات دون أن يكون بحاجة لأحد، وقد شهد الله لنفسه في قرآنه المجيد وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[1].

آيات في نعم الله ورحمته الواسعة:

كما يقول سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا .....﴾[2].

ويقول: ﴿... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ .....﴾[3].

خلاصة الدرس

يجب الاعتقاد أن الله تعالى عادل ولا يأمر إلا بالعدل

إضاءة نورانية

الحديث الشريف: (أما التوحيد فأن لا تجيز على خالقك ما جاز عليك وأما العدل فأن لا تنسب إلى ربك ما لامك عليه).

أسئلة حول الدرس

أسئلة حول الدرس

س١: إلى أي أساس تستند الرحمة الإلهية؟

---

(١)- ١٥/ فاطر.

(٢)- ١٨/ النحل.

(٣)- ١٥٦/ الأعراف.





الدرس الثاني عشر:

النبــــوة

(١)

الدرس الثاني عشر: النبـــوة

دليل النبوة:

اللّه أوجد المخلوقات ورعاها، لا لحاجة منه إليها:

• لقد أوجد اللّه تبارك وتعالى بقدرته الكاملة عالم الوجود والموجودات المتنوعة مع أنه غني وغير محتاج أبدا، ومتّع هذه الموجودات من نعمه التي لا تحصى.

• وجعل اللّه تعالى هذا الإنسان وكل مخلوق آخر من ذوات الأرواح وغيرها، منذ أول يوم ظهورها إلى آخر يوم من وجودها في مهد رعايته، وسيّر كل واحد منها بنظام وترتيب خاص نحو هدف معلوم ومعين بقيادته، خاضعاً لعنايته وربوبيته.

اللّه أرحم الراحمين

• وإذا تأملنا في أطوار ومراحل حياتنا فقط، أي لاحظنا أدوار الرضاعة والطفولة والشباب والشيخوخة فسيقر وجداننا ويعترف بعناية اللّه التامة بنا. وإذا اتضحت لنا هذه المسألة فإن عقلنا سيحكم بلا تردد. أنّ خالق العالم هو أرحم بكل واحد من مخلوقاته من كل أحد.

اللّه يريد صلاح عبده، ولا بدّ من مقومات للصلاح:

• وبسبب هذه الرحمة فهو يراعي دائماً صلاح حالهم، ولا يرضى أبداً بفساد أمرهم وفشل عملهم دون أن يكون في ذلك حكمة أو مصلحة.

• ونوع الإنسان أحد مخلوقات اللّه سبحانه، ونعلم أن صلاحه وسعادته بأن يكون واقعياً وصالح العمل محسناً، .وباختصار صاحب عقائد صحيحة وأخلاق حميدة وعمل صالح.

هل العقل بمفرده قادر على قيادة الإنسان وصلاحه:

• ومن الممكن أن يقول شخص: أن الإنسان بما وهبه اللّه تعالى من عقل يستطيع أن يميز الحسن من القبيح، وأن يشخِّص الطريق،

• ولكن ينبغي أن يُعلم أن العقل بمفرده لا يستطيع أن يحلَّ هذه المشكلة وأن يقود الإنسان نحو الرؤية الواقعية والعمل الصالح، لأن جميع الصفات غير المحمودة والأعمال غير المرغوبة التي نشاهدها في المجتمع الإنساني كلّها صادرة ممّن كان له عقل وقوة تمييز،

السبب في انحراف العقل:

- إلا أنه وبسبب الأنانية وعبادة الهوى غلبت عواطفهم عقولهم، وصارت عقولهم تابعة للهوى وتورطوا نهاية الأمر في متاهات الضلالة.

دور النبوة في قيادة الإنسان:

إذن فلابد وأن خالقنا الحكيم العليم اللطيف الخبير يرشدنا ويدعونا ويقودنا نحو السعادة بطريق وبوسيلة لا تكون خاضعة للهوى أبداً، ولا يمكن أن يقع في قيادتها تخبّط أو اشتباه في أي زمان أو مكان. وهذا الطريق ليس إلاّ النبوة.

إرسال الرسل:

- إنّ ما يقضي به عقلنا، ويحكم بموجبه بضرورة أن يُفتح طريقٌ للبشر باسم طريق النبوة. قد تم حصوله عملياً.

- فقد أرسل من قِبل الله تعالى أشخاص من البشر باسم "الأنبياء والرسل، والأوصياء من بعدهم"، وحملوا للناس مجموعة من القواعد العقائدية والعملية، دعوا الناس بواسطتها إلى الصراط المستقيم.

- وقد أثبتت هذه المجموعة صحة دعواها وصدقها وصحة دينها بطرق قابلة للفهم من قبل الناس. وقد ربوا بمسلكهم التربوي أفراداً صالحين.

عدد الأنبياء:

- عدد الأنبياء الذي حكاه تاريخ الأديان كثير جداً. وقد أرسل اللّه تعالى إلى البشر آلاف الأنبياء وعددهم مائة وأربع وعشرون ألف نبي على المشهور،

- وقد دعوا جمعيهم الناس إلى التوحيد والدين الحق.



الدرس الثالث عشر:

النبـــوة

(٢)

و الأنبياء على قسمين:

- قسم عنده كتاب سماوي وشريعة من قِبل الله تبارك وتعالى، ويسمى هؤلاء أولو العزم.
- و قسم ليس لديه كتاب وشريعة جديدة وإنما هم يقومون بترويج كتاب وشريعة أولي العزم والدعوة إليهم.
- وأولو العزم من الأنبياء العظام هم: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، ومحمد عليه وعليهم آلاف التحية والثناء.

صفات النبي:

الصفة الأولى: أن يكون معصوماً ومصوناً عن الخطأ في أداء مهمته؛

- فلا يكون هناك سبيل إليه لأيّ نوع من أنواع النسيان أو الآفات الذهنية الأخرى؛ وذلك لكي يتمكن من تحصيل ما أُوحي إليه بشكل صحيح، وإيصال ما تلقاه إلى الناس من دون زلل أو اشتباه، إذ لولا ذلك لما حققت الهداية الإلهية أهدافها ولتخلف قانون الهداية العامة عن تأثيره بالنسبة للإنسان.

الصفة الثانية: أن يكون معصوماً ومصوناً في أقواله وتصرفاته عن الزلل والمعصية:

- إذ مع وجود المعصية لا يبقى أيُّ أثر لتبليغه، وذلك لأن الناس لا يرون قيمة لكلام من يكون عمله مخالفاً لقوله، بل يأخذون تصرفاته دليلاً على كذبه إذ لو كان ما يقوله صحيحاً لعمل بمقتضى قوله.

وخلاصة الصفتين المتقدمتين:

ويمكن جمع هذين الأمرين بعبارة واحدة وهي أنه:

- لكي يكون التبليغ صحيحاً ومؤثراً يجب أن يكون النبيُّ معصوماً عن الخطأ والمعصية مطلقًا في كل أفعاله وأقواله وكلِّ شؤونه الخاصة، حتى الخطأ غير المتعمد لا يصدر منه من قبيل السهو والنسيان والاشتباه، فكل ذلك لو صدر منه لما أمكن الوثوق بأن ما يقوله هل هو من عند الله تعالى أم من خطئه واشتباهه وسهوه، فلا تتحقق الهداية التي بُعِثَ مِن أجلها، وإذن لانتفى الغرض الذي أُرسِل من أجله، والحكيم لا يرسل رجلاً غير قادر على تحقيق ما أُرسِل من أجله، فما بالك وأن الله سبحانه هو القادر على تسديد هذا الرجل وتأييده وعصمته من الخطأ والزلل، فلابد وأنَّ الله تعالى قد عصم أنبياءه ورسله.
- والله تعالى يشير في كلامه إلى هذا المعنى حيث يقول: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا،

إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا، لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ .....﴾ [1].

الصفة الثالثة: أن يكون ممتلكاً للفضائل الأخلاقية كالعفة والشجاعة والعدالة وغيرها،

• لأن هذه جميعاً تُعدُّ من الصفات الحسنة، ومن يكون مصوناً من كلّ نوع من المعصية ومصدراً للدين بشكل كامل لا يتورط بالرذائل الأخلاقية على الإطلاق.

القرآن يشير إلى الأنبياء السابقين، وهدفهم:

• إن القرآن الكريم الذي هو الكتاب السماوي للنبي محمد (ص) ويشمل المقاصد الدينية العالية، قد أوضح موضوع دعوة الأنبياء السابقين، كما بيّن مقاصدهم وأهدافهم.

• ولولا القرآن لما وصلتنا حقيقة تذكر من سيرتهم.

• فالقرآن الكريم يُبين أنّ ثمّة أنبياء كثيرين قد أرسلوا من قبل الله تعالى إلى الناس، وأنّهم جميعاً دعوا إلى التوحيد ودين الحق كما يقول تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [2].

---

(١)- ٢٦-٢٨/ الجن.

(٢)- ٢٥/ الأنبياء.



الدرس الرابع عشر:

النبـــوة

(٣)

تميُّز شخصية النبي من بين بقية الأنبياء:

• من المسلّم به تاريخياً أنّه كان هناك أنبياء بين البشر وأنهم قد قاموا بالدعوة، لكن مع هذا فإنّ تاريخ حياتهم ليس واضحاً إلى الدرجة المطلوبة،

• وتاريخ حياة النبي محمد (ص) هو وحده الخالي من الإبهام.

حقانية دعوة النبي محمد (ص):

• لو قمنا بأدنى تأمل بعين الإنصاف لن نتردد في أنّ ظهور شخصية كشخصية رسول الله محمد بن عبد الله (ص) في مثل ظروف شبه الجزيرة العربية لم يكن سوى التأييد الإلهيّ الخاص.

• ومن هنا كان الله تعالى يكرّر في كلامه الحديث عن أُمّيّة ويتم وفقر النبيّ فيما مضى، ويحتج على حقّانية دعوته بالشخصية التي تربت في عناية خاصة من لدن الله تبارك تعالى، والتي يعدّها معجزة سماوية، كما يقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾[1].

• ويقول أيضاً: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ....﴾[2].

كما يقول كذلك: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ... ﴾[3].

خلاصة درس النبوة:

• الله تعالى يقودنا نحو السعادة بوسيلة لا تخضع للهوى أبدًا وهذه الوسيلة ليست سوى الأنبياء عليهم السلام.

• لقد أرسل الله الأنبياء لكي يدعوا الناس إلى الدين الحق والتوحيد الصحيح، والصراط المستقيم.

• عدد الأنبياء مائة وأربع وعشرون ألف نبي تقريبًا.

• الأنبياء من أولي العزم وهم أصحاب الرسالات والكتب السماوية لعامة البشر خمسة: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى ومحمد عليهم السلام.

صفات النبي ثلاث:

---

(١)- ٦-٨/ الضحى.

(٢)- ٤٨/ العنكبوت.

(٣)- ٢٣/ البقرة.

أ. أن يكون معصومًا عن الخطأ في أداء مهمته.

ب. أن يكون معصومًا عن الخطأ والمعصية في جميع تصرفاته وأقواله وأفعاله.

ج. أن يكون حائزا على الفضائل الأخلاقية.

- تاريخ حياة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحده الخالي من الإبهام.
- نفس شخصية نبينا محمد السابقة على النبوة دليل على صحة نبوته.

إضاءة نورانية في حق سيد البشر:

من القرآن الكريم:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[١].

من الحديث الشريف:

(أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر)[٢].

من نهج البلاغة:

(طبيب دوار بطبه، قد أحكم مراهمه وأحمى مواسمه، يضع ذلك حيث الحاجة إليه...)[٣].

أسئلة حول الدرس

س١: أوجز ما تعرفه عن دليل النبوة؟

س٢: ما هو هدف إرسال الأنبياء عليه السلام؟

س٣: كيف تميز الأنبياء أولي العزم عن غيرهم؟

س٤: لماذا تشترط العصمة في النبي (ص)؟

س٥: ما هي علامات صدق نبوة نبينا محمد (ص)؟

---

(١)- ٦/ الصف.

(٢)- بحار الأنوار ج١٦ ص١٢٩ ط٣ المصححة.

(٣)- نهج البلاغة ج١ ص٢٠٧.





الدرس الخامس عشر:

المعجزة

الدرس الخامس عشر: المعجزة

تعريف المعجزة:

المعجزة هي واحدة من دلائل نبوة الأنبياء (عليهم السلام)، وهي القوة الخارقة لقوانين الطبيعة ووسائلها المادية المتحدية لقوى البشرية كافة.

المشخِّص للمعجزة:

الفطرة الإنسانية المجبولة على مقايسة الأمور وفرز الفاضل من المفضول، هي التي تشخص موارد الإعجاز، وموضوع المعجزة، ولون التحدي الذي يصنع الخلود في المجال المخصص له.

الهدف من المعجزة:

ويمكن الكلام في أن موضوع المعجزة بشكل مختصر هو إقناع الناس وإخضاعهم للهداية والاستقامة من خلال:

- ردع المكذبين بالرسالة والجاحدين بها أولاً،
- وتثبيت ضعاف الإيمان بل والمؤمنين ثانيًا.

وبشكل أوسع نجعل البيان في اتجاهين:

الأول: فيما لو خلي الإنسان وطبعه الفطري السليم:

فالملاحظ أن عوام الناس. وهم موجودون في كل زمان، ينقادون إلى أدنى مصلح أو مرشد يهتم بأمورهم المعاشية والدنيوية.فيتبعونه ويقيمون له وزنًا، ويقتفون له أثرًا، ويستجيبون له دعوه، وهكذا شأنهم في تصديق من سما في عالم الفضل والمعرفة والأخلاق.

الثاني: فيما لو حملت النفس شوائب الجهل ومعتقدات فاسدة،

بحيث سلب منها تلك الفطرة التي أودعها الله سبحانه فيها: حينئذ تجد من الصعوبة جدًا إقناع تلك النفوس المريضة بالموعظة، أو الإرشاد، أو الوسائل العادية، بل لا بد من شيء فوق هذا وذاك خارج عن تصور البشر، كي تذعن النفوس للحق بعد ما تطهرها من دنس الخرافات والعقائد الفاسدة وخبث السريرة والمعتقد.

هذه النفوس بحاجة لشيء عظيم يحررها من واقعها. وينتشلها من السقم في التفكير، والجهل المطبق، الذي لا تنفع معه جميع الوسائل المادية والأساليب العلمية المتبعة، شيء لا يجرأ العقل على تكذيبه، ولهذا جاءت المعجزة من عند الله سبحانه على يد أنبيائه(ع)؛ لتكون هي القوة الوحيدة التي



تزرع الأيمان في نفوس أولئك، وإرساء فكرة التوحيد في القلوب والأذهان.

هذا مضافًا إلى أن أثر المعجزة لا يقتصر على أولئك السذج من الناس، بل يتعدى حتى إلى قلوب المؤمنين فيجعلها قلوبًا عامرة بالإيمان الخالص، واليقين الصادق، يزيد في إيمانها قوة وصلابة، ويشيد يقينها، ويرسخ عقيدتها.

المظهر للمعجزة:

المعجزة مقترنة بالإرادة الإلهية، لأنها الوسيلة لإقناع البشر عندما تتعذّر كل السبل المادية، والوسائل العلمية، آنذاك تكون معجزة الإرادة الإلهية والحتمية الربانية لنصرة الأنبياء والمرسلين على المعاندين وأهل الكفر وجحدة الحق، فالمعجزة بمثابة الكي للداء وهو آخر الدواء.

فالإرادة الإلهية هي الأساس في إظهار المعجزة أو الكرامة على يد الأنبياء والأولياء والصالحين. بل حتى في الأمور العادية التي تستند إلى أسباب طبيعية، مما يجري وفق السنن التي أودعها اللّه تعالى في هذا الكون، كما لو ألقينا حزمة الحطب في النار، فبحكم الملازمة يكون الإحراق، فهنا وإن كانت ظاهرًا أن إرادة حرق الحطب من خلال إلقائه في النار صادرة في بادئ الأمر من العبد، إلاّ أن وراءها إرادة أعلى ومشيئة أكبر، وهي مشيئة اللّه سبحانه، ويدل على ذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّه رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

فمع تلك الأسباب الظاهرية، والعلل الخارجية، والإرادة البشرية، هناك إرادة إلهية بدونها لا يمكن حدوث الأمر أو تحقق المراد. إرادة إلهية قادرة على تعطيل العلل والقوانين والأسباب وفق المصالح التي يراها. وحينئذٍ تكون هي المعجزة.

واسطة المعجزة:

ومن الواضح أن من تظهر المعجزة على يديه يكون بمثابة الواسطة بين الخالق والمخلوق، وهو النبي الذي اختاره اللّه سبحانه لتبليغ رسالته وشريعته على العباد. والنبي مثل سائر البشر من حيث المركبات والأحاسيس والمشاعر إلاّ أنه يسمو على عالم المادة والدنيا الدنية، فيرتفع فوق زخرفها بتهذيب نفسه الطاهرة وترويضها على فنون الطاعة والمعرفة الحقة.

أسئلة حول الدرس

س١ : عرف المعجزة؟

س٢ : ما هو الهدف من المعجزة؟

س٣ : من هو المظهر للمعجزة؟

س٤ : على يد من تظهر المعجزة؟

(١)- ٢٩/ التكوير.





الدرس السادس عشر:

الإمامة (١)

الدرس السادس عشر: الإمامة

توطئة وتمهيد:

كل مؤسسة تدار بالعاملين فيها المخلصين لها:

• إن العمل الذي تنجزه، إحدى المؤسسات الحكومية التي تُشكّل في بلد ما وتدير الأعمال العامة للناس لا يتم من تلقاء نفسه، وإذا لم يتصد مجموعة من الأشخاص الصالحين لحفظها وإدارتها فسوف لن تكون قابلة للبقاء، وسوف لن يستفيد الناس من خدماتها.

• وكلّ مؤسسة أخرى أيضاً توجد في المجتمعات البشرية أمثال المؤسسات الثقافية والمؤسسات الاقتصادية المختلفة لها نفس هذا الحكم، وهي لا تستغني أبداً عن العاملين الصالحين، وإلا فستضمحل وستزول في زمن قصير، وهذه حقيقة واضحة تدرك بالنظرة العادية، والتجارب الكثيرة أيضًا دليل على صحة ذلك،

طبيعة الدين الإسلامي:

• فإذا كانت أبسط مؤسسة لا تستغني في وجودها عن راع يحوطها بعنايته، فكيف بالكيان الإسلامي الذي يرعى حياة الإنسان في كل جوانبها بما يضمن له السعادة في الدنيا والآخرة.

• فهذا الكيان بلا ريب يحتاج في بقائه واستمراره إلى حارس ومدبِّر ومدير، ويفتقر باستمرار إلى شخصٍ صالح يوصل معارف الدين وقوانينه للآخرين، ويطبق قوانينه الدقيقة في المجتمع الإسلامي، ولا يتسامح أو يبدي أقل غفلة في رعاية الإسلام والمسلمين وحفظ مصالحهم.

دليل الإمامة:

• كما قلنا في دليل النبوة إن أحد أهداف الخلقة هو هداية الناس إلى الطريق الصحيح،

• وكما أن الله تبارك وتعالى رحيم ويسد حاجة جميع المخلوقات، وقد وضع تحت تصرفها جميع وسائل تطورها،

• فإن العقل يدرك أنه لابد للخالق الرحيم أن يتلطف على الإنسان ويسد حاجته إلى الاعتقاد الصحيح والأخلاق الحميدة والعمل الصالح عن طريق إرسال الأنبياء وإيصال رسالاته.

• ولقد كتب الله على نفسه الرحمة، فكما أرسل رسوله الكريم محمدًا (صلى الله عليه وآله)، فقد نصَّب إمامًا وقدوة بعد وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فالحاجة إلى (الهادي) لم تنتفِ بعد

رحيل الرسول الكريم، فالناس هم الناس، لا يهتدون بدون هاد، ولا تغنيهم عقولهم التي تكون في أغلب الأوقات صريعة الهوى عن الحاجة إلى رجل معصوم يجعله الله لهم هاديًا من بعد الرسول النذير، قال تعالى مخاطبًا رسوله الكريم: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[1].

عصمة الإمام:

• وكما أطلع الله تعالى النبي (ص) على جميع الحاجات وعلاج جميع الأمراض الفردية والاجتماعية، وصانه وحفظه عن أي نوع من الخطأ والاشتباه، فيجب أن يمن على الإمام والقدوة الديني أيضًا بالعلم والعصمة.

• وبهذا الدليل العقلي أتضح أنه من أجل هداية البشر وحفظ الدين وحراسته وتطبيق أحكامه بعد وفاة النبي الأكرم (ص) يجب أن يعين إمام من جانب الله تبارك وتعالى ويكون هذا الإمام معصوماً.

(١)- ٧/ الرعد.



الدرس السابع عشر:

الإمامة (٢)

الدرس السابع عشر: الإمامة

النص على الأئمة عليهم السلام:

النص الإجمالي:

روي عن النبي الأكرم (ص) بطرق مختلفة أن لأمة الإسلام بعد وفاته أئمة يكونون خلفاء له.

وفي الرواية المعروفة التي ينقلها الشيعة والسنة معًا يقول (ص): الأئمة إثنا عشر كلهم من قريش.

النص التفصيلي:

• قال تعالى مخاطبا رسول الله محمد (ص): ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[1]. فقام رسول الله ووضع، يده على صدره، فقال : أنا المنذر، وأومأ بيده إلى منكب علي، فقال: أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون من بعدي».

• وفي راوية مشهورة يقول صلى الله عليه و آله لجابر الأنصاري: (الأئمة إثنا عشر) ثم عدد أسماءهم الواحد تلو الآخر، ثم يقول لجابر: (ستدرك الإمام الخامس فبلغه مني السلام)

• وبالإضافة إلى ذلك فإن النبي الأكرم(ص) عيّن خليفته الخاص من بعده وهو أمير المؤمنين عليه السلام. وكذالك عيّن أمير المؤمنين الإمام الذي يليه أيضًا وهكذا كان كل إمام يعيّن الإمام الذي بعده، كلّ ذلك بأمر من الله ، وهم بالترتيب:

١-الإمام علي بن أبي طالب (ع)
٢- الإمام الحسن بن علي (ع)
٣- الإمام الحسين بن علي (ع)
٤- الإمام علي بن الحسين (ع)
٥- الإمام محمد بن علي الباقر(ع)
٦- الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع)
٧-الإمام موسى بن جعفر الكاظم(ع)
٨- الإمام علي بن موسى الرضا(ع)
٩-الإمام محمد بن علي الجواد(ع)
١٠- الإمام علي بن محمد الهادي (ع)
١١-الإمام الحسن بن علي العسكري(ع)
١٢- الإمام محمد بن الحسن المنتظر (عج)

المعصومون الأربعة عشر:

• يُطلق اسم "الأربعة عشر معصوم" على النبي الأكرم(ص) وابنته فاطمة الزهراء(ع) والأئمة الإثنا عشر(ع).

---

(١)- ٧/ الرعد.

• ويُسمى الخمسة الأوائل من المعصومين الأربعة عشر، يعني النبي الأكرم وفاطمة وعلي والحسن والحسين (ع) بـ "أصحاب الكساء" وذلك لأنّ النبي الأكرم (ص) وضع الكساء على رأسه الشريف يوماً وأدخل هؤلاء الأربعة تحت كسائه، ودعا لهم. فأنزل الله تبارك وتعالى آية التطهير في حقهم: ﴿....إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

خلاصة الدرس:

• الكيان الإسلامي هو بحق أوسع الكيانات، ويحتاج في استمراره وبقائه إلى حارس ومدبر وأشخاص يملكون صلاحية إيصال معارفه للآخرين.

• لأجل حفظ الدين وهداية الناس يعيّن الله تعالى إمامًا وقدوة بعد وفاة النبي الأكرم.

• إن الله تعالى يَمُنُّ على الإمام والقدوة الدينيّ بالعلم والعصمة.

• روي عن النبي الأكرم(ص) بطرق مختلفة أنه يكون لأمة الإسلام بعد وفاته أئمة خلفاء له.

• عيّن النبي الأكرم (ص) خليفته الخاص من بعده وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، وهكذا كل إمام يعيّن الإمام الذي يكون بعده.

• يطلق اسم "الأربعة عشر معصوم، على النبي الأكرم وابنته فاطمة الزهراء(ع) والأئمة الإثنا عشر (ع).

إضاءة نورانية:

القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2].

الحديث الشريف: (من مات وهو لا يعرف إمامه، مات ميتةً جاهلية)[3]..

نهج البلاغة: (إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم...)[4].

حديث المعصوم: (إن الحجة لا تقوم لله عز وجل على خلقه إلا بإمام)[5].

---

(١)- ٣٣/ الأحزاب.

(٢)- ٣٣/ الأحزاب.

(٣)- بحار الأنوار ج٢٣ ص٩٤ ط٢ المصححة.

(٤) - نهج البلاغة ج٢ ص٢٧.

(٥)- الكافي ج١ ص١٧٧.

أسئلة حول الدرس

س١ : بماذا يمتاز الدين الإسلامي؟

س٢ : هل يصلح دليل النبوة للإمامة؟ أوضح ذلك؟

س٣: ما الحاجة من عصمة الإمام؟

س٤ : هل عين النبي الأكرم (ص) خليفة من بعده؟ من هو؟

س٥ : من هم أصحاب الكساء الخمسة؟

الدرس الثامن عشر:

العصمة وعلم الإمام

الدرس الثامن عشر: العصمة وعلم الإمام

أهداف الدرس:

١.أن يستذكر الطالب الدليل النقلي على عصمة الإمام.

٢. أن يتعرف إلى شمولية علم الإمام.

عصمة الإمام، في الآيات والروايات:

لقد وردت جملة من الآيات والروايات الّتي تدلّ على عصمة الأئمّة وسيتمّ التعرّض لبعض منها:

١ - آية الابتلاء: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[١].

حيث نفى- سبحانه وتعالى- منح المناصب الإلهيّة ومنها الإمامة لأولئك الملوَّثين بالذنوب. وقد تقدّم الكلام حول دلالة الآية على الإمامة عند البحث عن عصمة الأنبياء.

٢ - آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٢].

إنّ الإرادة التشريعيّة الإلهيّة في تطهير العباد لا تختصّ ببعض البشر دون بعض، فإنّه تعالى أراد من جميع البشر ووجّه خطابه لجميع الناس أن يعصموا أنفسهم، من خلال اتّباعهم للتّشريعات الإلهيّة - فالإرادة التشريعيّة عامّة وليست خاصّة بفئة وصنف من الناس. وبما أنّه تعالى في مقام التفضّل والامتنان وهما يقتضيان تخصيص المتفضّل والممتنّ عليه بأمر معيّن، فيتعيّن كون الإرادة في الآية هي الإرادة التّكوينيّة الإلهيّة والّتي لا تقبل التخلّف، كما قال تعالى:﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٣]. وهي مختصّة بالنّبيّ وأهل البيت عليهم السلام.

والتّطهير المطلق ونفي كلّ رجس وقبيح يعني العصمة، ونحن نعلم أنّ كلّ المذاهب والفرق الإسلاميّة، لا تدّعي وجود العصمة في أيّ أحد من المنتسبين للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، إلّا الشّيعة الّذين يعتقدون بعصمة الزهراء عليها السلام، والأئمّة الإثني عشر[٤] عليهم السلام.

الروايات المفسِّرة للآية

ويلزم علينا أن نؤكّد أنّ هناك أكثر من سبعين رواية، ورد أكثرها عن علماء أهل السّنّة، تدلّ على أنّ

---

(١)- ١٢٤/ البقرة.

(٢)- ٣٣/ الأحزاب.

(٣)- ٨٢/ يس.

(٤) - لمزيد من التوضيح حول هذه الآية يراجع تفسير الميزان وكتاب (الإمامة والولاية في القرآن الكريم).

هذه الآية الشّريفة نزلت في شأن "الخمسة الطّيبين[١]، أي: النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام والحسن والحسين عليهما السلام، وقد نقل الشّيخ الصّدوق عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا عليّ هذه الآية نزلت فيك وفي سبطيّ والأئمّة من ولدك، قلت: يا رسول الله وكم الأئمّة من بعدك؟ قال: أنت يا عليّ، ثمّ ابناك الحسن والحسين، وبعد الحسين عليّ ابنه، وبعد عليّ محمّد ابنه، وبعد محمّد جعفر ابنه، وبعد جعفر موسى ابنه، وبعد موسى عليّ ابنه، وبعد عليّ محمّد ابنه، وبعد محمّد عليّ ابنه، وبعد عليّ الحسن ابنه، وبعد الحسن ابنه الحجّة. هكذا وجدت أساميهم مكتوبة على ساق العرش فسألت الله- عزَّ وجلَّ- عن ذلك فقال: يا محمّد هم الأئمّة بعدك مطهّرون معصومون وأعداؤهم ملعونون»[٢].

ويكفي من الرّوايات حديث الثّقلين الّذي قرن فيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أهل البيت والعتّرة مع القرآن الكريم، وأكّد عدم افتراقهما أبداً، وهو دليل واضح على عصمتهم، وذلك؛ لأنّ ارتكاب المعصية- حتّى لو كانت صغيرة، وإن صدرت سهواً- يعني الافتراق العملي عن القرآن. مع أنّ الحديث يؤكّد عدم الافتراق مطلقاً.

علم الإمام

مصادر علم الإمام

إنّ مصادر علوم الأئمة متنوّعة ومتعدّدة، منها:

١- إنّ أهل بيت النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد اقتبسوا وتزوّدوا من علومه صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من غيرهم، وكما قال صلى الله عليه وآله وسلم في حقّهم: «لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم»[٣]، وخاصّة أمير المؤمنين عليه السلام الّذي ترعرع ونشأ في أحضان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منذ طفولته، ولازمه حتّى آخر لحظات عمره الشريف، وكان يغترف دائماً ويتزوّد من علوم النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم في حقّه: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»[٤].

ونقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علّمني ألف باب، وكلّ باب يفتح ألف باب، فذلك ألف ألف باب، حتّى علمت ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وعلّمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب»[٥]. ولكنّ علوم أئمّة أهل البيت عليهم السلام لا تنحصر بما سمعوه من النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بواسطة أو بدون واسطة، بل هناك طرق أخرى..

(١) - غاية المرام، السيّد هاشم البحراني، ص ٢٨٧-٢٩٣.

(٢)- بحار الأنوار ج٣٦ ص٣٣٦، ٣٣٧.

(٣)- الأمالي ص٦١٦.

(٤) - مستدرك الحاكم، ج ٢، ص ٢٢٦، ومن الجدير بالذكر أنّ أحد علماء أهل السنّة ألّف كتابا اسمه (فتح الملك العلي بصحّة حديث مدينة العلم علي) وطبع في القاهرة كتبه سنة ١٣٥٤هـ.

(٥) - ينابيع المودّة، ص ٨٨، والكافي، ج١، ص ٢٩٦.

٢- إنّهم عليهم السلام كانوا يتمتّعون أيضاً بنوع من العلوم غير العاديّة الّتي تفاض عليهم من طريق (الإلهام) أو (التّحديث)[١]، كالإلهام الّذي حصل للخضر وذي القرنين[٢] ، ومريم، وأمّ موسى عليهم السلام[٣]، وقد عبّر في القرآن الكريم عن بعضها بـ- (الوحي) وليس المقصود وحي النّبوّة، وبمثل هذا العلم بلغ بعض الأئمّة الأطهار عليهم السلام مقام الإمامة في فترة طفولتهم، وحيث كانوا يعلمون بكلّ شيء، لم يحتاجوا للتّعلم والدّراسة عند الآخرين.

الأدلة على التحديث:

وتستفاد هذه الحقيقة من روايات كثيرة نقلت عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام أنفسهم- حيث ثبتت حجّيّتها بملاحظة عصمتهم.

منها: ما رواه ابن المغازلي الشّافعي عن عبد الله بن عطاء: قال كنت عند أبي جعفر (الإمام الباقر عليه السلام) جالساً إذ مرّ علينا ابن عبد الله بن سلام[٤] قلت: جعلني الله فداك، هذا ابن الّذي عنده علم الكتاب، قال: «لا ولكنّه صاحبكم عليّ بن أبي طالب الّذي نزلت فيه آيات من كتاب الله (عزّ وجلّ): ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[٥]. ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[٦]. ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾[٧]. فثبت من خلال الرّواية أنّ عليّاً عليه السلام عنده علم الكتاب فهو يمتلك المقام الرّفيع كذلك.

وتتّضح لنا أهميّة التّوفّر على (علم الكتاب) حينما نتأمّل في حكاية سليمان عليه السلام وإحضار عرش بلقيس لديه، الّتي ذكرها القرآن الكريم: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[٨].

ويُستفاد من هذه الآية أنّ التّعرّف على (بعض) علم الكتاب له مثل هذه الآثار المدهشة، ومن هنا يمكن أن ندرك الآثار الكبيرة للتّعرّف على (جميع) علم الكتاب. وقد أشار لهذه الملاحظة الإمام الصّادق عليه السلام في حديث رواه سدير عنه:

«يا سدير: ألم تقرأ القرآن، قلت: بلى، قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ: قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ، قال، قلت: جعلت فداك قد قرأته[٩]،

(١)- الكافي، الشيخ الكليني، ج١، ص ٢٦٤ وص ٢٧٠.

(٢) - سورة الكهف، الآيات: ٦٥-٩٨، والكافي، ج١، ص ٢٦٨.

(٣) - ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ﴾آل عمران/٤٢ سورة آل عمران، الآية: ٤٢، وانظر أيضاً في السور التالية: مريم: ١٧-٢١، طه: ٣٨، القصص: ٧.

(٤)- وعبد الله من علماء أهل الكتاب وقد أعلن إسلامه في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٥)- ٤٣/ الرعد.

(٦)- ١٧/ هود.

(٧)- ٥٥/ المائدة.

(٨)- ٤٠/ النمل.

(٩)- ويلزم أن نعلم بأنّ المراد من علم الغيب المختصّ بالله تعالى، هو العلم الّذي لا يحتاج لتعلّم، كما أجاب به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عمّن سأله عن علمه بالغيب، «إنّما هو تعلّم من ذي علم» وإلّا فإنّ جميع الأنبياء و كثير من أولياء الله مطّلعون على بعض العلوم الغيبيّة بواسطة الوحي أو الإلهام. و من العلوم الغيبية الّتي لا يشك فيها أحد هذا النبأ الغيبيّ الذي ألهم لأمّ موسى عليه السلام: ﴿....إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾القصص/٧ .

قال عليه السلام: فهل عرفت الرّجل؟ وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال: قلت أخبرني به، قال: قطرة من الماء في البحر الأخضر. ثمّ قال عليه السلام: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[1] قلت: قد قرأته، قال عليه السلام: أفمن عنده علم الكتاب كلّه أفهم أم من عنده علم الكتاب بعضه؟ قلت: لا بل من عنده علم الكتاب كلّه، قال: فأومأ بيده إلى صدره، وقال عليه السلام: علم الكتاب والله كلّه عندنا، علم الكتاب والله كلّه عندنا»[2].

علم الإمام في كلام الإمام عليه السلام

يوجد جملة من الرّوايات الواردة حول علوم أهل البيت عليهم السلام.

– ففي حديث طويل عن الإمام الرّضا عليه السلام يقول فيه: «وإنّ العبد إذا اختاره الله لأمور عباده شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يَعْيَ بعده بجواب، ولا يحير فيه عن الصّواب، فهو معصوم مؤيّد، موفّق مسدّد، قد أمن من الخطايا والزّلل والعثار، يخصّه الله بذلك ليكون حجّة على عباده، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. فهل يقدّمون على مثل هذا فيختارونه، أو يكون مختارهم بهذه الصّفة فيقدّمونه»[3].

– وعن الحسن بن يحيى المدائني عن أبي عبد الله عليه السلام قال، قلت له: أخبرني عن الإمام إذا سئل كيف يجيب؟ فقال: «إلهام، وسماع، وربما كانا جميعاً»[4].

– وفي رواية أخرى عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال: «أيّ إمام لا يعلم ما يصيبه وإلى ما يصير، فليس ذلك بحجّة لله على خلقه»[5].

– وفي عدّة روايات عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال فيها: «إنّ الإمام إذا شاء أن يعلم علم»[6].

– وورد عنه عليه السلام أيضاً في روايات عديدة أنّه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[7] قال: «خلق من خلق الله عزَّ وجلَّ أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبره ويسدّده وهو مع الأئمّة من بعده»[8].

ورد عن الإمام الرّضا عليه السلام: (في مقطع من رواية عبد العزيز): «الإمام المطهّر من الذّنوب، المبرّأ من العيوب، مخصوص بالعلم، مرسوم بالحلم، نظام الدّين، وعزّ المسلمين، وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين، الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا

(١)– ٤٣/ الرعد.

(٢) – الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٢٥٧، طبعة دار الكتب الإسلامية.

(٣) – الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ١٩٨– ٢٠٣.

(٤) – بحار الانوار، العلّامة المجلسي، ج ٢٦، ص ٥٨.

(٥)– الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٢٥٨.

(٦) – م.ن، ج ١، ص ٢٥٨ وفي رواية (اعلم) بلا عن (علم) وفي الأخرى (علمه الله بذلك).

(٧)– ٥٢/ الشورى.

(٨)– م.ن، ج ١، ص ٢٧٣.

نظير»[1].

خلاصة الدرس

- بالإضافة إلى الدليل العقلي على علم الإمام هناك أدلّة قرآنيّة وروائيّة.

منها: :﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2]. وهناك روايات توضّح المقصود من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس بأنّهم أهل الكساء بالإضافة إلى ولد الحسين عليه السلام المعصومين عليه السلام.

ومنها: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[3]. ٢٩ . حيث نفت الآية الإمامة عن الظالمين الملوّثين بالذنوب.

ويكفينا حديث الثقلين الذي قرن فيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أهل البيت مع القرآن الكريم، وأكّد عدم افتراقهما أبداً، وهو دليل على عصمتهم.

- إن مصادر علوم الأئمّة عليه السلام متعدّدة، منها:

١- أنّهم اقتبسوا من علم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وخصوصاً الإمام علي"عليه السلام؛ باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

٢- العلم اللدنّي من الله تعالى بالإلهام والتحديث.

- هناك روايات كثيرة نُقلت عن الأئمّة عليهم السلام تُشير إلى مدى علمهم الواسع وإلهامهم، كما عن الإمام الصادق عليه السلام: «علم الكتاب والله كلّه عندنا، علم الكتاب والله كلّه عندنا»[4]، وعنه عليه السلام: بعدما سأله أحدهم عن الإمام إذا سُئل كيف يُجيب؟ فقال عليه السلام: «إلهام، وسماع، وربما كانا جميعًا»[5].

أسئلة حول الدرس

١- أذكر آية التطهير، وكيفيّة دلالتها على العصمة.

٢- ما هي أنواع علم الإمام، واذكر شواهد؟

٣- ما هي الآثار المترتّبة على من يعلم علم الكتاب، واذكر الآيات الدالّة عليها.

(١)- الكافي، الشيخ الكليني، ج١، ص ١٩٨-٢٠٣.

(٢)- ٣٣/ الأحزاب.

(٣)- ١٢٤/ البقرة.

(٤) - الكافي ج١ ص٢٥٧.

(٥) - الأمالي للشيخ الطوسي ص٤٠٨.

الدرس التاسع عشر:

المعــاد (١)

الدرس التاسع عشر: المـعـاد

تعريف المعاد:

• المعاد أحد الأصول الكبرى لدين الإسلام المقدس، وهو من ضروريات هذا الدين الخالص.

• إن المئات من الآيات في القرآن الكريم والآلاف من الروايات عن النبي الأكرم (ص) وأئمة الهدى تبين بصراحة أن الله تعالى يحيى عباده مرة ثانية بعد الموت في يوم معين ليحاسبهم على أعمالهم فيمنح المحسنين النعمة واللذة الأبدية، كما يخلد المسيئين في العذاب الدائم بسبب أعمالهم وتصرفاتهم.

المعاد عقيدة مشتركة بين كل الأديان:

• إن جميع الأنبياء السابقين كانوا ينذرون الناس ويذكرونهم بالمعاد ويوم البعث.

• والأديان السماوية الأخرى تثبت المعاد كما الدين الإسلامي وعلاوة على ذلك فقد تم اكتشاف آثار وعلائم من القبور القديمة والضرائح الباقية منذ آلاف السنين تفيد أن الإنسان الأول كان يعتقد بوجود نوع من الحياة بعد الموت للإنسان.

• ومن هنا يمكن الاستنتاج أن الإنسان يثبت وبفهمه المجرد وجود يوم يجازى فيه المحسنون والمسيئون،

• وبما أن مثل هذا اليوم غير موجود في الدنيا فلا مفر من كونه في عالم آخر.

أدلة المـعـاد :

الدليل الفطري:

• إنّ كلّ إنسان يدرك بفطرته الموهوبة الفرق بين العمل الصالح والعمل السيئ، ويرى العمل الصالح حسنًا يلزم الإتيان به، كما يرى العمل السيئ أمرًا قبيحًا يلزم اجتنابه.

جزاء المحسن والمسيء:

• وبما أنه لا يوجد في هذا العالم يوم يصل فيه ثواب الأعمال الصالحة والأعمال السيئة للمحسنين والمسيئين وذلك لأننا نشاهد عيانًا أن كثيرًا من المحسنين يعيشون أيامًا غاية في المرارة والصعوبة، بينما هنالك الكثير من المسيئين منغمسين في الجرائم والجنايات من رؤوسهم إلى أخمص أقدامهم يعيشون مع مسلكهم السيئ وتصرفاتهم القبيحة والمشينة حياة مملوءة بالنعيم والراحة،

الفطرة تثبت حقيقة الجزاء الأخروي:

• فلو لم يكن للإنسان في مستقبله وفي عالم غير هذا العالم يوم يتوصل فيه إلى إثابة العمل الصالح ومجازاة العمل السيئ بالشكل المناسب لما زُرِع في فطرة الإنسان أن العمل الصالح حسن ولازم الإتيان والعمل السيئ قبيح ولازم الاجتناب.

• بل لما كان من سبب لكي يرى الإنسان العمل الصالح حسنًا ويعمل لتحصيله، أو يرى العمل السيئ قبيحًا ويجتنب عنه، وينجذب إلى الاعتقاد المذكور، مع أنه إذا لم يكن ثمة معاد في الواقع فإنه سوف يكون اعتقادًا خرافيًّا بشكل قطعي.

• فعلينا أن نفهم إذن من هذا الاعتقاد غير القابل للتزلزل والذي وضعته يد الخلقة في فطرتنا أنّ هناك معادًا وأنه سوف يصل الإنسان إلى يوم يحاسب فيه بين يدي الله على أعماله وتصرفاته؛ لينال ثواب أعماله الصالحة وعقاب أعماله السيئة.

الدليل العقلي على المعاد:

• لقد مر سابقا أن الخالق الرحيم وبسبب رحمته اللانهائية ولطفه وعنايته بعباده ومن أجل هدايتهم إلى الصراط المستقيم أرسل لهم أنبياء؛ ليكون الناس باتباعهم أصحاب عقائد صحيحة وأخلاق حميدة وأعمال صالحة، ولكي يخرجوهم من ظلمات الجهل والغفلة والتفلت

• وبما أن قبول الدين والارتباط به يجب أن يكون اختياريًّا بالتأكيد؛ لأنه لا يمكن تمييز الحسن من القبيح و المحسن من المسيء بالإجبار والإكراه أبدًا، فقد جعل الله تبارك وتعالى البشر مختارين وأحرارًا في حياتهم.

• ومن خلال هذه الصورة يتضح أنّ الآثار والفوائد القيّمة للالتزام بالتعاليم الدينية لا تظهر بشكل كامل في هذا العالم فلا يصل المحسنون إلى ثواب أعمالهم كما لا يرى المسيئون والظالمون جزاء أعمالهم ولا يعاقبون على أكثر ظلمهم وفسادهم.

• و بالالتفات إلى عدالة الله ورحمته يحكم العقل بوجوب وجود عالم آخر يصل فيه الناس إلى جزاء أعمالهم. و أن الموت ليس فناءً للإنسان، بل هو مجرد انتقال من هذا العالم إلى العالم الآخر.

الدليل النقلي على المعاد:

• إن لكل من الأديان السماوية جملة من المقررات الاعتقادية و العملية تعتبر الإنسان باتباعها مطيعًا لأمر الله وتعده بالثواب الحسن، كما تعده عاصياً بالتخلف عنها وعصيانها وتحكم عليه بالعقاب السيئ.

• و مقتضى ذلك هو أن يكون هناك يوم للجزاء، وبما أنه ليس لدينا في هذا العالم يوم كهذا، فلا بد أن يكون في العالم الآخر و بعد الموت.

• و من هنا أثبت الإسلام هذا اليوم و الذي سمّاه يوم القيامة بمنتهى الصراحة وذكره على أنه غير قابل للشك، وعدَّ الاعتقاد به أحد الأصول الكبرى للدين، و هو ينقل أيضاً في القرآن الكريم نفس هذا الأمر عن دعوة الأنبياء السابقين..

خلاصة الدرس

• المعاد أحد أصول الدين الكبرى وهي: التوحيد- النبوة – الإمامة – العدل – المعاد.

• إن الله يحيي عباده ثانية بعد الموت ليحاسبهم على أعمالهم وذلك يوم القيامة.

• الأديان السماوية الأخرى تثبت المعاد كما الإسلام.

• إنّ كل إنسان يدرك بفطرته الفرق بين العمل الصالح والعمل السيئ.

• يحكم العقل بوجوب وجود عالم آخر ينال فيه الناس جزاءهم وأن الموت ليس فناءً للإنسان.

إضاءة نورانية:

القرآن الكريم: ﴿اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ ...﴾[1].

نهج البلاغة: (واعلم إن مالك الموت هو مالك الحياة وأن الخالق هو المميت وأن المُفني هو المعيد)[2].

حديث معصوم: (أيام الله ثلاثة: يوم يقوم القائم ويوم الكرّة ويوم القيامة)[3].

أسئلة حول الدرس

س١: ما هي نظرة الإسلام حول الموت؟

س٢: ما هي الأديان السماوية التي تؤمن بالمعاد؟

س٣: كيف يدرك الإنسان المعاد بفطرته؟

س٤: كيف يحكم العقل بوجود عالم آخر؟

س٥: هل المعاد من أصول الدين أم من أصول المذهب؟

---

(١)- ٨٧/ النساء.

(٢) - نهج البلاغة ج٣ ص٤٢.

(٣) - بحار الأنوار ج٥١ ص٥٠.

الدرس العشرون:

المــعــاد (٢)

الدرس العشرون: المعاد

أهداف الدرس:

١. أن يتعرف الطالب إلى أهمية الاعتقاد بالمعاد.

٢. أن يتعرف إلى نتائج الاعتقاد بالمعاد.

٣. أن يستذكر آية قرآنية عن المعاد.

أهميّة معرفة العاقبة

إنّ البحث عن المعاد يتمّ ضمن المراحل التالية:

الأولى: أهميّة الاعتقاد بالمعاد وفيها يتمّ بيان ميزة هذا الأصل العقائديّ، وتأثيره المهمّ في سلوك الإنسان وأفعاله الفرديّة والاجتماعيّة.

الثّانية: أهميّة الروح في إثبات المعاد ويتمّ من خلالها توضيح التّصوّر الصّحيح عن المعاد، والّذي يتوقّف على إثبات وجود الرّوح غير المحسوسة والخالدة والاعتقاد بها، لأنّها تشكّل الأساس الأوّل لإثبات المعاد، فكما أنّ معرفة الوجود تبقى ناقصة من دون الاعتقاد بوجود الله الواحد، فكذلك معرفة الإنسان ومصيره تبقى ناقصة إن لم يعتقد بوجود الروح الخالدة.

الثّالثة: ويتمّ فيها عرض بعض الأدلّة الّتي يتمّ من خلالها إثبات المعاد ومسائله الأساس.

الرّابعة: عرض أهمّ شبهات المنكرين للمعاد والردّ عليها.

وبهذا يكون قد تمّ استعراض الخطوات المطلوبة بشكل إجمالي وقد جاء دور البحث التّفصيلي لتلك الخطوات.

المرحلة الأولى: أهميّة الاعتقاد بالمعاد في الحياة الفردية:

إنّ الباعث والداعي للقيام بالنّشاطات والأعمال الحياتيّة هو إشباع الحاجات والرّغبات، وتحقيق الأهداف والطّموحات، وبالتّالي الوصول للسّعادة والكمال النّهائي. وإنّ تقويم الأفعال، وكيفيّة توجيهها مرتبط بتحديد الأهداف الّتي يسعى بجميع جهوده وطاقاته لبلوغها. ومن هنا كان لمعرفة الهدف النّهائي للحياة الّتي يعيشها دور أساس في معرفة الطرق والوسائل والأعمال الّتي لا بدّ من اختيارها وممارستها. وفي الواقع إنّ العامل الرّئيس في تحديد طريقة الحياة ومسيرتها يكمن في رؤية الإنسان ومعرفته بحقيقته وكماله وسعادته. ومن يعتقد أنّ حقيقته ليست إلّا مجموعة من العناصر المادّيّة، البدنيّة والتّفاعلات المعقّدة فيما بينها، ويرى حياته محدّدة بهذه الأيّام القليلة للحياة الدّنيويّة، ولا يعرف لذّةً أو سعادة أو كمالاً آخر وراء هذه المنافع والمكاسب المرتبطة بهذه الحياة، فإنّه سوف ينظّم

أعماله وسلوكه بما يشبع حاجاته الدّنيويّة ومتطلّبات هذا العالم، أمّا الّذي يؤمن بأنّ حقيقته أوسع وأبعد من الظّواهر المادّيّة، ولا يرى في الموت نهاية الحياة، بل يراه منعطفاً ينتقل من خلاله من هذا العالَم المؤقّت إلى عالَم خالد باقٍ، وأنّ أعماله الصّالحة وسيلة للوصول لسعادته وكماله الأبديّين، فإنّه سوف يخطّط لنظام حياته بطريقة تكون معها أكثر عطاء وأفضل تأثيراً على حياته الأبديّة. ومن جانب آخر، فإنَّ المتاعب والمصائب والابتلاءات الّتي يواجهها في حياته الدّنيويّة، لا تثبّط عزيمته، ولا تبعث فيه روح اليأس والقنوط، ولا تمنعه من مواصلة جهده وعزيمته في سبيل ممارسة وظائفه، وبلوغ السّعادة والكمال الأبديّين الّذين يطلبهما الإنسان بفطرته.

أهمية الاعتقاد في الحياة الاجتماعية:

ولا ينحصر تأثير هذين النّوعين من معرفة الإنسان، في الحياة الفرديّة، بل إنّ لهما تأثيراً كبيراً وفاعلاً في الحياة الاجتماعية، وفي مواقف الأفراد وعلاقاتهم فيما بينهم. فإنّ للاعتقاد بالحياة الأخرويّة، وبالثّواب والعقاب الأبديّين، دوره المهمّ وتأثيره البالغ في رعاية حقوق الآخرين، والإيثار والإحسان إلى المحتاجين والمحرومين. وحين يسود المجتمع مثل هذا الاعتقاد فلا يحتاج كثيراً إلى استخدام القوّة في سبيل تنفيذ القوانين والأحكام العادلة ومكافحة الظّلم والاعتداء على الآخرين. وبطبيعة الحال كلّما اتّسعت دائرة هذا الاعتقاد بين النّاس وعمّت، فإنّ المشاكل والخلافات سوف تقلّ.

أهمية الاعتقاد

ومن خلال هذه الملاحظات، تتّضح لنا أهميّة مسألة المعاد، وقيمة البحث فيها، بل وحتّى الاعتقاد بالتّوحيد - إن لم يكن مقترناً بالاعتقاد بالمعاد - لا يمكنه أن يؤثّر أثره الكامل والشّامل في توجيه الحياة الدنيوية الوجهة الصّحيحة والمنشودة، ومن هنا ينكشف سرّ اهتمام الأديان السّماويّة- وخاصّة الدّين الإسلاميّ المقدّس- بهذا الأصل العقائدي، وسرّ بذل الأنبياء عليهم السلام أقصى جهودهم في سبيل ترسيخ هذه العقيدة في النّفوس وتثبيتها.

العلاقة بين الدنيا والآخرة:

والاعتقاد بالحياة الأخرويّة، إنّما يكون له تأثيره في توجيه السّلوك والأفعال الفرديّة والاجتماعيّة، فيما لو تمّ التّسليم بوجود نوع من علاقة السببيّة والمسببيّة بين ما يتحقّق في هذا العالم من المواقف والأفعال، والسّعادة والشّقاء في عالم الآخرة.

وبهذا يظهر أنّه من الضّروري- إضافةً لإثبات المعاد والحياة الأخرويّة- إثبات العلاقة بين الحياتين (الدّنيا والآخرة) وتأثير الأفعال الاختياريّة في السّعادة والشقاء الأبديّين.

اهتمام القرآن بمسألة المعاد

الملاحظ أنّ أكثر من ثلث الآيات القرآنيّة، مرتبط بالحياة الآخرة، وفي مجموعة من هذه الآيات أكّد

القرآن على لزوم الإيمان بالآخرة[١]. وفي مجموعة أخرى أشار إلى آثار إنكار المعاد ومضاعفاته[٢]. وفي ثالثة ذكر النّعم الأبديّة[٣]. وفي رابعة تعرّض القرآن إلى أنواع العذاب الأبديّ[٤]. كما أنّ هناك آيات كثيرة ذكرت العلاقة بين الأعمال الحسنة والسّيئة، مع نتائجها وآثارها الأخرويّة. وكذلك أكّدت بأساليب مختلفة إمكان القيامة بل وضرورتها، وتعرَّضت للإجابة عن شبهات المنكرين، وقد بيّنت بعض الآيات أنّ السّبب في الكثير من أنواع الضلال والانحراف هو نسيان أو إنكار القيامة ويوم الجزاء[٥].

ومن خلال التأمّل في الآيات القرآنيّة نتوصّل إلى أنّ القسم الأكبر من أحاديث الأنبياء عليهم السلام ومناظراتهم مع النّاس كان يدور حول موضوع المعاد، بل يمكن القول بأنّ الجهود الّتي بذلوها لإثبات هذا الأصل كانت أكثر من جهودهم لإثبات التّوحيد، وذلك لأنّ أغلب النّاس كانوا يتّخذون موقفاً أكثر عناداً وتشدّداً من هذا الأصل.

ويمكن أن نُلخّص السبب في عنادهم وتشدّدهم في أمرين:

١- عامل مشترك يتجسّد في إنكار كلّ أمر غيبيّ وغير محسوس.

٢- عامل مختصّ بموضوع المعاد، أي الرغبة بالتحلّل، وعدم الشّعور بالمسؤوليّة، وذلك لما ذكرناه من أنّ الاعتقاد بالقيامة والحساب، يُعتبر دعامة قويّة وصلبة للشعور بالمسؤوليّة، ودافعاً قويّاً لتقبّل الكثير من الضّوابط على السّلوك والأعمال، والكفّ عن الظّلم والاعتداء والفساد والمعصية. وبإنكاره سوف يفتح الطّريق أمام تدفّق التّصرّفات المتحلّلة، وعبادة الشهوات والأنانيّات والانحرافات. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا العامل في قوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ، بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ، بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾[٦].

خلاصة القول:

من أجل أن يتمكن الإنسان من اختيار الطريق الّذي يؤدّي به إلى سعادته الحقيقيّة وكماله النهائيّ، يلزم عليه أن يفكّر. ويسأل نفسه: هل تنتهي الحياة الإنسانيّة بالموت؟ هل توجد هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة؟ هل الانتقال من هذا العالم إلى عالم آخر، كالسّفر من مدينة لأخرى، بحيث يمكنه

---

(١) - ﴿ والَّذينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ من قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾البقرة/٤. وانظر أيضاً سورتي: لقمان: ٤. النمل: ٣.

(٢) - ﴿وأَنَّ الَّذينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾الإسراء/١٠ سورة الإسراء: ١٠، وأيضاً السور التالية: الفرقان: ١١، وسبأ: ٨، والمؤمنون: ٧٤.

(٣) - ﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾الإنسان/١١﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾الإنسان/١٢﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾الإنسان/١٣﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾الإنسان/١٤﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴾الإنسان/١٥﴿ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾الإنسان/١٦﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴾الإنسان/١٧﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴾الإنسان/١٨﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾الإنسان/١٩﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾الإنسان/٢٠﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾الإنسان/٢١ سورة الإنسان: ١١-٢١، وانظر سورتي: الرحمن: من الآية ٤٦ إلى آخر السورة. الواقعة: ١٥- ٣٨.

(٤)- ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ ﴾الحاقة/٢٥﴿ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ ﴾الحاقة/٢٦﴿ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾الحاقة/٢٧﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ ﴾الحاقة/٢٨﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ ﴾الحاقة/٢٩﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾الحاقة/٣٠﴿ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾الحاقة/٣١﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾الحاقة/٣٢ سورة الحاقة: ٢٥- ٣٢، وانظر أيضاً سورتي: الملك: ٦-١١، الواقعة: ٤٢-٥٦.

(٥)- ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ص/٢٦ ، وانظر أيضًا: سورة السجدة: ١٤.

(٦)- ٣-٥/ القيامة.

توفير وسائل ومستلزمات المعيشة والحياة في تلك المدينة؟ هل الحياة في هذا العالم مقدّمة، وأرضيّة لحصول المسرّات والآلام في ذلك العالم، فلا بدّ أن يعدّ العدّة، ويعمل في هذا العالم، ليحصل على النتيجة النهائيّة هناك أم لا وجود لهذه العلاقة؟

وسيأتي الجواب الصحيح وبشكل واضح لهذه الأسئلة في المرحلة القادمة في الدروس الآتية.

خلاصة الدرس

- إنّ الإيمان بالمعاد له أهميّة كبرى وآثار عظيمة على الحياة الفرديّة والاجتماعيّة للناس، فهو يُصيّر الإنسان أكثر عطاءً ونشاطاً وعملاً، ويُخفِّف عنه وطأة المصائب والبلاءات، ويجعل العلاقة بين الناس علاقة تعاون ومحبّة وإيثار وأخلاق، فلا يُحتاج لتطبيق القوانين ومكافحة الظلم إلى استخدام القوّة.

- الاعتقاد بالمعاد لا يؤثِّر أثره المطلوب إلاّ إذا سلّمنا بتأثير أفعال الإنسان في السعادة والشقاء الأبديّين، أي إذا سلّمنا بالثواب والعقاب الأخرويّين.

- ولأهميّة الإيمان بالمعاد والثواب والعقاب كان للأديان وخصوصاً الإسلام الاهتمام البارز في هذه المسألة، لذا نرى أنّ أكثر من ثلث الآيات القرآنية مرتبط بالحياة الآخرة.

ومن هذه الآيات:

﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[١].

﴿ وأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[٢].

- من أسباب إنكار الكافرين للمعاد:

١- إنكار كلّ أمر غيبيّ وغير محسوس.

٢- الرغبة في التحلُّل من الواجبات والانغماس بالشهوات.

أسئلة حول الدرس

١- تحدّث باختصار عن أهميّة الاعتقاد بالمعاد، وأثره على الإنسان.

٢- أذكر العاملين الأساسين لإنكار المعاد.

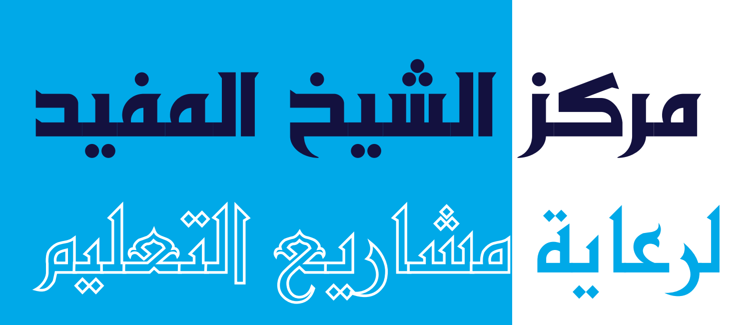
٣- أذكر آية قرآنية تتحدّث عن المعاد.

---

(١)- ٤/ البقرة.

(٢)- ١٠/ الإسراء.




مركز الشيخ المفيد
لرعاية مشاريع التعليم

الشيخ المفيد